

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رياض الصالحين - الدرس : 065 - باب النفقة على العيال - ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام في شأن نفقة الرجل على أهل بيته، وترغيبه بها، وتحذيره إذا قصر بها، وهل يعد كسب الرزق وإنفاقه فيما شرعه الله عبادة؟

24-04-1999

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

من هو المسؤول على نفقة الأولاد في الأسرة؟ وما هما الحديثان اللذان وردا في هذا الباب؟:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، عليه أتم الصلاة والتسليم، والباب اليوم، باب النفقة على العيال، قال تعالى:

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة الآية: 233]

أي: على الأب الوالد أن يرزق أولاده، وأن يكسوهم بالمعروف، وقال تعالى:

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُئْتِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

[سورة الطلاق الآية: 7]

باب النفقة نظام اجتماعي رائع، تكافل اجتماعي، الإسلام ضمن التكافل على أساس النسب، وعلى أساس الجغرافيا، الجار مسؤول عن جاره، والأب مسؤول عن ابنه، والابن عن أبيه، والأخ عن أخيه، نظام التكافل الاجتماعي على أساس النسب، وعلى أساس الموقع، هذا نظام رائع جداً .

الإنسان عليه أن يرزق أولاده الذين أنجبهم هو .

وفي الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَفُوتُ))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه]

((وليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

وفي الحديث: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ، دِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارًا يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح والترمذي في سننه]

أنصت السمع لهذا الكلام :

أيها الأخوة، الرجل يطعم امرأته لقمة، يراها يوم القيامة كجبل أحد، والمسلم كل حياته عبادة، وهو في بيته يعبد الله، وإذا كسب رزقاً حلالاً، وأنفقه على عياله فهو في عبادة، وإذا أدخل الفرحة والسرور على قلوب أهله وأولاده فهو في عبادة، وإذا كدّ وسعى من أجل رزقهم فهو عبادة، فكيفما تحرك الإنسان، بشرط أن يكون مؤمناً، وأن تكون نيته عالية وطيبة، كل حركاته وسكناته عند الله عبادة، بل إن العلم الذي ترتزق به، والحرفة التي تحترفها، والوظيفة التي تشغلها، المهنة التي تمتنها، إذا كانت في الأصل مشروعة، وسلكت بها الطرق المشروعة، ونويت كفاية نفسك، وأهلك، وخدمة المسلمين، ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، أو عن طاعة، انقلبت هذه الحرفة إلى عبادة .

فالخمسة آلاف مليون إنسان في العالم، يعملون كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، ولا أجر لهم، أما المؤمن فعمله في دكانه، وفي مكتبه، وفي قاعة درسه، وفي مكتبه الهندسي، وفي حرفته المهنية، إذا كانت هذه الحرفة مشروعة، ولم تسلك فيها الطرق غير المشروعة، ليس فيها كذب، ولا تدليس، ولا احتيال، ولا غش، ولا احتكار، ولا استغلال، ونويت بها كفاية نفسك، وأهلك، وخدمة المسلمين . فقد كان السلف الصالح إذا فتحوا دكانهم يقولون:

((نويت خدمة المسلمين))

نحن يمكن أن يكون عمالك جنة، بيتك جنة، أنت تعيش لمهمة راقية جداً، هؤلاء المسلمون حينما تصدقهم ولا تكذبهم، حينما تنصحهم ولا تغشهم، حينما تخفف عنهم متاعب الحياة ولا ترهقهم، هؤلاء في صحيفتك، لو يكشف الإنسان أن مهنته ممكن أن تكون عبادة.

وقد حدثني أخ، فقال: أنا عندي معمل أبيع قطعاً غذائية للصغار، (بسكويت)، هو أخ، أنا أحترمه كثيراً، قال: الأب يعطي ابنه عشر ليرات صباحاً، الطفل يشتري بها قطعة حلوى من إنتاجنا، هل من المعقول أن أعطي ابن هذا المسلم، بضاعة سيئة فاسدة، منتهية المفعول؟ أكون قد سرقت منه عشر ليرات، أقسم بالله، يشتري أغلى بضاعة، أفضل زبدة، أفضل شوكولا، أفضل فانيليا، هذا يعبد الله في تقديم قطعة حلوى للطفل جيدة جداً، بسعر معتدل، فهل تصدقون أن مثل هذا العمل هو عند الله عبادة؟ .

أنت حينما تبيع و تشتري، لكن تنصح المسلمين، لا تغشهم، لا تستغلهم، لا تحتال عليهم، لا تبتز أموالهم، حينما تنصحهم، وحينما تقدم لهم خدمات جليلة، وأنت مع الله دائماً، فأنت في عبادة، من تتاح له فرصة، أن يجعل دكانه مكان عبادة، وبيته مكان عبادة، ومكتبه مكان عبادة، هكذا المؤمن، قال تعالى:

﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة التوبة الآية: 121]

والله إلى درجة أنه لو كان الإيمان راقياً، وكنت متألقاً مع الله، وكنت قريباً منه، والله لو أخذت أهلك في نزهة، لعدت لك عبادة، ماذا تنوي بهذا؟ تنوي إدخال السرور على قلب زوجتك وأولادك .

حينما تشتري لعبة لابنتك الصغير، النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((من اشترى لعبة فكأنما تصدق على محاويج))

هذه الطفلة الصغيرة كل عالمها اللعبة، هناك استثناء في الشرع في موضوع الدمى واللعب بها، فالإنسان أدخل على قلب أولاده السرور، فاقترب من الله، أدخل على قلب زوجته السرور، فاقترب من الله، أتقن عمله اقترب إلى الله، نصح المسلمين اقترب إلى الله .

لكم قد تشترون حاجة متقنة جداً، بسعر معتدل جداً، تستعملها ثلاثين سنة، وتدعو لصانعها: الله يبارك له فيها، الله يوفقه، أعماقك ممنونة للذي باعك إياها، وأحياناً تشتري حاجة فيلعب صاحبها مليون لعنة . اشتري رجل خيطاً، وصنعه جوارب من صوف، وباع الجورب بثمانين ليرة، ثلاث لبسات تنقطع، موظف بسيط معه الروماتيزم، اشتري جوربين، هذه في ثلاث لبسات تُرمى، فتأتي صاحب المعمل كل يوم مليون لعنة، والإنسان في النهاية بكلمتين؛ إما رحمه الله، وإما لعنه الله .

ينلخص عمك في كلمة واحدة، الله يرحمه، دون تفاصيل، لأنه إنسان نصوح، مستقيم، أو إذا غش الناس، الله لا يوفقه، لذلك لما ينحرف الإنسان يلعبه الله، وتلعبه الملائكة، ويلعبه الناس أجمعون . اليوم التركيز: يمكن أن يكون عمك عبادة، ممكن أن يكون دكانك مسجداً، ليس فيها كلمة زائدة، ولا نظرة لامرأة، ولا كلمة مرنة، قال تعالى:

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 32]

وهناك استقامة ونصيحة .

دخلت امرأة إلى محل تريد (مانطو)، أراها صاحب المحل ثوبا أغلى شيء عنده، فقالت: أريد أحسن منه، فقال: هناك أحسن، لكنه غالٍ، قالت: هاته، قال لي: والله أنزلت ثوباً مثل الأول تماماً، ولكن أراه

إياها بطريقة أخرى، وأخذ ضعف ثمنه، استغل غياب المشتري، ليكن في دكانك الصدق والاستقامة، ليس فيها كذب، أنت مع الله، والناس لضعف إيمانهم في كسب المال بأي طريقة حمق وغباء، ويجمعه شيئاً فشيئاً، ويذهب الله دفعة واحدة .

قال أحدهم: كان مصيري السجن عشرين سنة، دفعت مليون ليرة فتفاديناها، الله كبير.

أتمنى من المسلم، ألا يفهم الدين أنه أتينا إلى المسجد وصلينا، الدين ليس هذا، الدين صدق، وأمانة، ونصيحة للمسلمين، وإتقان عمل .

لي صديق عنده بنت مثل الوردية، عمرها ثماني سنوات، طار صحن هوائي في أثناء الرياح الشديدة من مكانه، وقع عليها فقتلها، حَقَّقُوا في القضية، فإذا بالرجل صاحب الصحن وضع له مسمارين فقط، من أصل ستة مسامير، وقع بفعل الرياح الشديدة، فقتل، هذا يحاسب عند الله قاتلاً .

((إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقته))

اقرأ هذه الأحاديث :

اسمعوا هذا الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -أَي فِي الْحَرْبِ- وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مَسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمَهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

((أَعْظَمَهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ))

السبب: أن الناس أنت لهم، وغيرك لهم، أما أولادك من لهم غيرك؟ إذا أنت لم تشبعهم ، فمن يشبعهم؟ إذا أنت لم تلبسهم، فمن يلبسهم؟ إذا أنت لم تؤمن لهم حاجاتهم التي يبتغونها، إذا كان كسبك حلالاً ومدروساً، وأمنت حاجات بيتك، هذا نوع من العبادة .

وفي حديث آخر: عَنْ تَوْبَانَ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ، دِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابْتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح والترمذي في سننه]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ:

((أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى، حُلْسٌ -بساط- نَلْبَسُ بَعْضُهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضُهُ، وَقَعْبٌ -إناء- نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ قَالَ: أَنْتِنِ بِهِمَا -النبى صلى الله عليه وسلم كان من الممكن أن يعطيه، ولكنه علمنا- فَأَتَاهُ

بِهِمَا، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذُهَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ -مَرَّتَيْنِ، هَذِهِ مَزِيدَةٌ مَشْرُوعَةٌ، أَوْ ثَلَاثًا- قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا، فَأَنْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا، فَانْتِنِ بِهِ، فَاتَّاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُوْدًا بِبِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَأَحْتَطِبْ، وَيَعِ، وَلَا أَرَيْنَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ففَعَلَ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا تَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لثَلَاثَ؛ لِذِي فَقْرٍ مُدْفِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْطَعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

أيها الأخوة، ما فتح امرؤ على نفسه باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر، بمجرد أن يفكر في التسول، تسدّ كل الأبواب في وجهه، ما فتح امرؤ على نفسه باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر .

حديث ثالث: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ:

((وَأِنَّكَ لَنْ تَنْفِقَ نَفَقَةً، تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أَجْرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي أَمْرَاتِكَ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

لو أطعمتها لقمة تؤجر عليها، لكن أخاف أن تفهموا شيئاً، أنا ما أردته من هذه الأحاديث .

أي: ليس لنا إلا البيت، كل شيء إلى البيت، ولا ندفع خارجه قرشاً، هذا غير صحيح، أن تؤمّن لزوجتك وأولادك الشيء المعقول، أما فوق المعقول فأنت محاسب عليه، قال تعالى:

((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ))

[سورة الأعراف الآية: 31]

من أجل أن ترضيهم، تأتي بستة أنواع من الفواكه، وستة أنواع من الطعام، ألبسة بغير حساب، هذا إسراف، أمّن لهم الحاجة المعقولة، بالمعروف، وما سوى ذلك أنفقه على فقراء المسلمين .

سيدنا عمر جاءه رسول من أذربيجان، جاءه بخلوى، أكلها عمر، وجدها طيبة، قال له :

((يا هذا، هل يأكل عندكم عامّة المسلمين هذا الطعام؟ قال: لا، هذا طعام الخاصة، فكتب كتاباً وبّخ فيه

والي أذربيجان، قال له: كل مما يأكل منه عامّة المسلمين، كيف يعينك ما يعينهم إن لم تأكل ما

يأكلون؟ وقال: حرام على بطن عمر، أن يذوق طعاماً، لا يطعمه فقراء المسلمين، وأرسل بهذه علبه

الخلوى إلى فقراء المسلمين من أهل الصفة ليأكلوها))

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا، فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه]

هذا موضوع ثان، هؤلاء الأولاد تطعمهم وتكسوهم، لكنك لا تهتم بصلاتهم، ولا بدينهم، ولا بعقيدتهم، ولا بعلاقتهم بربهم، فهذا أكبر إثم عند الله .

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه]

هؤلاء الذين يطعمهم، ينبغي أن يعتني بهم، أن يعتني بصلاتهم، الأب يصل إلى البيت مساء، يسأل زوجته: كتبوا الوظائف، فتقول: نعم، يا ترى هل يسألها: هل صلوا؟ أما المؤمن فيسأل عن صلاة أولاده، لقول الله عز وجل:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[سورة طه الآية: 132]

عَنْ حَيْثَمَةَ قَالَ:

((فَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح وأبو داود في سننه]

الحديث الأخير: عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفَهِ

اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُعْنِهِ اللَّهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والنسائي في سننه، عن حكيم بن حزام]

الشاهد:

((وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))